

دور رجال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في الثورة التحريرية
الشيخ محمد خير الدين - أنموذجا -

د/إسعد لهلالي

جامعة محمد لمين دباغين - سطيف 02 -

ملخص:

يتناول هذا المقال موضوعا مهما من موضوعات التراجم في تاريخ الجزائر المعاصرة، لكونه يعالج بالبحث، والتنقيب جهود أحد الأقطاب البارزين في جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، والثورة التحريرية الجزائرية وهو الشيخ محمد خير الدين. والهدف من هذه الدراسة هو إبراز موقف ودور هذا الرجل في الثورة التحريرية خاصة وأنه كان ممثلا لجهة التحرير الوطني في المغرب الأقصى، وعضوا في المجلس الوطني للثورة، وكان من بين الذين صوتوا على لائحة وقف إطلاق النار التي طبقت رسميا في 19 مارس 1962.

Résumé :

Cet article aborde l'un des plus importants thèmes des œuvres dans l'histoire de l'Algérie contemporaine puisqu'il traite , à l'aide de recherche et de prospection , les efforts d'un illustre personnage de l'association des ulémas musulmans algériens (association des savants théologiens musulmans algériens) et de la révolution algérienne , en l'occurrence cheikh Mohamed kheiredine.

L'objectif de cette étude est de faire apparaitre l'attitude et le rôle de cet homme durant la guerre de libération nationale surtout il était un représentant du front de libération nationale au Maroc et membre du conseil national de la révolution .il était aussi de ceux qui ont voté la motion du cessez-le feu mise en vigueur officiellement le 19 Mars 1962.

مقدمة:

كان لرجال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين دور كبير في الثورة التحريرية، وذلك بتجهيزها لكتائب من الجنود الذين دربتهم على التمسك بمقومات شخصيتهم الوطنية، ومن بين هؤلاء الجنود الشيخ محمد خير الدين* الذي يعدّ من أبرز قادة جمعية العلماء وقد أدى دورا مهما في مسيرته الإصلاحية الدينية و الوطنية ليختم نضاله ضد الاستعمار بالانضمام إلى الثورة التحريرية، وهو الحل الذي التفتّ حوله الشعب الجزائري بعد أن حضر له طويلا ليعلن بذلك حربا ضد المستعمر الفرنسي شعارها النصر والاستقلال، ما هو موقف جمعية العلماء من اندلاع الثورة؟ كيف انضم الشيخ محمد خير الدين إلى صفوف الثورة؟ ما هو الدور الذي لعبه النشاطات خلال الثورة؟

أولا-موقف جمعية العلماء من اندلاع الثورة:

والحق أنه أثناء اندلاع الثورة وفي أيامها الأولى ونظرا لسرية الإعداد لها فقد تفاجأ الجميع لتلك المحرمات المسلحة مما جعل المواقف تختلف، ويقول في ذلك الدكتور محمد العربي الزبيري⁽¹⁾: >>إنّ السرية التامة التي حرص المعدون للثورة على التحلّي بها طوال الفترة التي تطلّبتها الأعمال التحضيرية هي التي ساعدت على مضاعفة المفاجأة وزرع الشك والحيرة في نفوس المواطنين بصفة عامة والطلّيعة الوطنية بصفة خاصة <<، وبالنسبة لجمعية العلماء فبعد يومين من الفاتح نوفمبر أعلن الشيخ الفضيل الورتيلاني⁽²⁾ نداء من القاهرة يوم 3 نوفمبر سنة 1954م نشرته الجرائد المصرية وغير المصرية بارك من خلاله الجهاد الثوري في الجزائر ومما جاء فيه: >> حيّاكم الله أيها الثائرون الأبطال، وبارك الله في جهادكم... لقد أثبتتم بثورتكم المقدسة هذه عدة حقائق... إن الجهاد للخلاص من هذا الاستعباد قد أصبح اليوم واجبا عاما مقدسا... لأنكم اليوم أمام أمرين: إما حياة أو موت أم بقاء كريم أو فناء شريف<<. وفي 15 نوفمبر من نفس الشهر ومن القاهرة وجّه الشيخ البشير الإبراهيمي والفضيل الورتيلاني⁽³⁾ نداء إلى الشعب الجزائري فيه دعوة صريحة إلى الجهاد و مما جاء فيه: >>...هلمّوا إلى الكفاح المسلح، إنّنا كلّما ذكرنا ما فعلت فرنسا بالدين الإسلامي في الجزائر، وذكرنا فضائعها في معاملة المسلمين... إنّما هو الكفاح المسلح فهو الذي يسقط علينا الواجب، ويدفع عنا وعن ديننا العار، فسيروا على بركة الله وبعونه وتوفيقه إلى ميدان الكفاح المسلح، فهو السبيل الواحد إلى إحدى الحسنين، إمّا الموت وراء الجنة وإمّا حياة وراءها العزة والكرامة<<.

إنّ الموقف الذي اتخذته مكتبة الجمعية قد صدر من الخارج إلا أنّ الظروف التي كانت في الداخل قد ميّزها كما ذكرنا سابقا الحيرة و الدهشة نظرا لسرية الإعداد للثورة، لذلك كان موقف الجمعية في الداخل محل انتقاد البعض، فالدكتور محمد العربي الزبير يذهب إلى أنّ الجمعية ارتكبت أول غلطة في الثورة بمعارضتها العفوية واللاشعورية لبيان أول نوفمبر وكان من المفروض أن تواصل ملازمة الصمت مادامت غير مقتنعة أو غير مؤمنة بما حدث (4).

وحسب ما ذكر عبد الرحمان العقون (5) فإنّ الشيخ خير الدين أكد أنّه لا أحد من أعضاء الجمعية كان يعلم بأمر الثورة قبل اندلاعها وأنهم عرفوا ذلك من خلال جريدة " لاديباش " القسنطينية حيث يقول: >> وفي أثناء هذا الاجتماع الذي انعقد في صباح يوم فاتح نوفمبر بدار الطلبة بقسنطينة دخل علينا موظفا من موظفي الدار ويده جريدة " لا ديباش " القسنطينية ومنها علمنا أوّل أخبار الثورة المتفجّرة في منتصف ليل ذلك اليوم <<.

ويضيف أنّه اتفق مع الشيخ العباس والأستاذ إبراهيم مزهودي على العمل في الثورة باسم جمعية العلماء المسلمين الجزائريين (6).

لكن المؤرخ محمد حربي إنهم الشيخ خير الدين بعدم وطنيته وذكر أنّ الشيخ الحسين الميلي طلب إعانة مادية من الشيخ خير الدين باسم جبهة التحرير الوطني فكان ردّه الرفض: >> إننا لا نريد أن نعتبر كأعداء، لكننا حين تحالفنا في ماي / أيار 1945م مع حزب الشعب الجزائري في إطار منظمة أنصار البيان والحرية دفعنا ثمن تصرفات هذا الحزب، أما اليوم فإنّ الوضع يختلف، إننا لسنا طرفا فيما وقع لقد تحركتم وحدكم فادفعوا الثمن وحدكم << (7).

يبدو أنّ الشيخ خير الدين قد انضم إلى تحالف مهم بعد 1945م وهو جبهة الدفاع عن الحرية وإحترامها والتي ضمّت كل الاتجاهات الوطنية وحسب الدكتور أحمد صاري (8) فإنّ محمد حربي كثير الانتقاد لمواقف جمعية العلماء والإتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري والحزب الشيوعي اتجاه جبهة التحرير الوطني، بينما تظهر مواقفه من جانب آخر شديدة التحفظ عندما يتعلق الأمر بوضعية المصاليين وعلاقتهم اللاحقة مع جبهة التحرير الوطني.

والحق أنّ أنصار جمعية العلماء لم يكونوا المتهمين بالتقصير اتجاه الثورة بل حتى التشكيكات السياسية الأخرى تأثرت بذات الموقف، لأنّ جبهة التحرير الوطني ربما كان هدفها هو تجنيد كل الجزائريين سواء من الطبقة الشعبية والأحزاب والجمعيات ما دام الكفاح المسلح هو الحل الأنسب.

كما أن نجاح الثورة في الفيتنام وانتصارها على الفرنسيين قد منح ثقة أكثر لمفخري الثورة لتحقيق الاستقلال، كما أن السريّة في الإعداد والتحضير للثورة هي التي حيّرت الجميع، لذلك فالهجمات التي قام بها المجاهدون في الأشهر الأولى كانت محل تساؤل الجميع، وإن كان التأكيد على أنّ ثورة حقيقية كان يزداد يوما بعد يوم خاصة بعد هجمات 20 أوت 1955 م .

وفي ظلّ الدهشة والتردد الذي أصاب الجمعية في الداخل وحتى التشكيكات الأخرى حاول الفرنسيون التقليل من أهمية الهجمات وذلك باستعمال طريقة المفاوضات التي أتبعها الحاكم العام للجزائر جاك سوستيل حيث عيّن منذ بداية فبراير 1955م وقام بإجراء عدة اتصالات مع بعض قادة الأحزاب والجمعيات السياسية الجزائرية أو ما يسمون بالمعتدلين، محاولة منه لإنهاء الحرب الدائرة رحاها بالجزائر وقد عيّن أحد مساعديه الرائد فانسان مونتاي (Vincent Monteil) ⁽⁹⁾، حيث توّجت مساعيه بمقابلة جرت بينه وبين وفد يضم المحامي وكواك عن الاتجاه المصالي والحاج شرشالي عن المركزين وأحمد فرنسيس عن (إ.د.ب.ج) والشيخ خير الدين عن العلماء ⁽¹⁰⁾، ويضيف محمد حريبي ⁽¹¹⁾ أنّ اللقاء تم في شهر أفريل ⁽¹²⁾.

كما أن محمد العربي الزيري ذكر أنّه تحصل شخصيا على معلومات من الشيخ الحسين بن الميلي ⁽¹³⁾ الذي كان عبان رمضان قد أرسله في شهر ماي لدعوة أعضاء الجمعية إلى الانضمام للثورة ويضيف أن الشيخ الحسين قد تقابل مع الشيخ خير الدين الذي أجابه بأنّ هناك أمالا كبيرة في التوصل إلى نتائج من خلال المحادثات التي كانت جارية مع الوالي العام، وأنّ الثورة ليس بمقدورها مواجهة القوات الفرنسية والانتصار عليها.

ليس بمقدورنا التصديق أو التكذيب لما نقله الشيخ الحسين الميلي لأنّ هناك معلومات قليلة ولا نعرف إن كانت هناك خلفيات بين الشخصين، وحتى الذين عاصروا الفترة وقابلتهم كانت إجابتهم سطحية بعيدة عن الهدف وإنّ انشغالهم كان بالثورة التي دخلت في شهرها السابع، كما أن الوالي العام في حد ذاته تأكد بأنّ تلك المفاوضات ليس لها أي نتيجة فأوقفها وطالب بزيادة عدد الجنود ⁽¹⁴⁾.

ومن جهة أخرى فقد أصدرت المنطقة الثانية تعليمات بإعدام مسؤولين من جمعية العلماء،
وإ.د.ب.ج، والحزب الشيوعي، وقد نجح الشيخ خير الدين من ذلك إضافة إلى الكثير ممن لم يعثر عليهم
فدائيو جيش التحرير، كالشيخ بن الحسين، فرحات عباس، الدكتور بن جلول وغيرهم⁽¹⁵⁾.

وحسب محمد العربي الزيري⁽¹⁶⁾ فإن الشيخ خير الدين قد سئل عن موضوع التفاوض مع
سوستيل (Soustelle) فلم ينكر، وأنّ جبهة التحرير قد اتصلت به وبباقي الوفد عن طريق عبان
رمضان وطلبت منهم مواصلة التفاوض دون التورط مع العدو، لكن العربي الزيري يضع هذا الاتصال في
محل الشكّ لأنّ عبان رمضان لم يترك وثائق أو مذكرات تؤكد ما ذهب إليه الشيخ خير الدين، ويضيف
أنّ عبان رمضان قد اتصل فعلا بالتشكيلات المختلفة لكن للاستجابة لنداء الفاتح نوفمبر، ومع توقيف
المفاوضات⁽¹⁷⁾ من طرف سوستيل (Soustelle) حوّل عبان رمضان حكم الإعدام إلى نوع من العفو
شرط اعتراف الجمعية بأخطائها ودعوة أعضائها للانضمام إلى صفوف جبهة التحرير الوطني.

يمكن القول أنّ الموقف الذي اتخذته الشيخ خير الدين من الفاتح نوفمبر كان في البداية
مشابها لتلك المواقف التي صدرت من التشكيلات السياسية، ومن الطبقة الشعبية فالكُل كان مترددا نظرا
لسرية الإعداد للثورة كما ذكرنا سابقا، أما في ما يخص الموقف السريع والإيجابي للشيخ البشير الإبراهيمي
والفضيل الورتيلاني من القاهرة فيعود إلى الوضع الذي كان سائدا في المشرق و نشاط الحركات التحريرية
في البلاد العربية كما أنّ الثورة المصرية لم يمر على نجاحها سوى عامين لذلك فانطلاق الهجومات جعلت
موقف الشيخين إيجابيا أما في الداخل فالوضع كان مغايرا نظرا للطريقة التي تمّت بها الأحداث خاصة إذا
نظرنا إلى التطورات السياسية التي سقت اندلاع الثورة، وفيما يخص انضمامه إلى الوفد التفاوض مع
سوستيل لا يمكن اعتباره من باب عدم وجود روح وطنية، لأنه حسب رأبي قد استمر في النضال السابق
الذي نادى به كل التشكيلات كالمطالبة بالحقوق الشرعية وبوقف القمع والاستغلال، كما أنّ تلك
المفاوضات قد علّق عليها سوستيل (Soustelle) والفرنسيون آمالا لوقف ما أسموه بالعمليات الإرهابية
لأنّها تمّت مع أبرز ممثلي التشكيلات الذين كانوا قد مثلوا مختلف التحالفات والحركات السابقة، وبالتالي
فقد سمحت تلك الظروف باتساع الثورة إن لم نقل بداية نجاحها في تلك الفترة حتى وإن كانت قصيرة
لأنّها وجهت أنظار الفرنسيين، وما قامت به جبهة التحرير يبدو أنّه من باب إقناع الجميع بأنه قد حان
الوقت ليجتمع أبناء الجزائر في صف واحد حتى وإن كان ذلك بتنفيذ الإعدام والتهديدات وأن تقنع
الجميع بأنّ العمل المسلح هو طريق الاستقلال.

ولكن أن نهمّش دور الجمعية بحجّة أنّها كانت دينية لا غير فهذا من باب الإجحاف في حق من حافظوا و بدون منازع وباعتراف الجميع على مقومات الشخصية الوطنية وفي هذا يقول الدكتور عبد الكريم بوصفصاف⁽¹⁸⁾: >> ... ومع ذلك كله فإنّ حركة العلماء كانت تبدو عشية الثورة التحريرية كحركة محافظة بل ورجعية في نظر الشباب الوطني الثوري، إنّ هذا الحكم الأخير يبدو قاسيا جدا على العلماء الذين لم يكونوا يختلفون (سنة 1954م) عن غيرهم من الحركات الوطنية الأخرى حيث كان فيهم الثوريون والمحافظون ... وإذا كان بعض زعماء ومناضلي حركة الانتصار قد وقفوا ضد الثورة فان بعض العلماء الذين لم يبادروا بالانضمام إلى الثورة في أول الأمر بل فإنّ بعضهم لم يقفوا ضدها <<...<

وتبقى قضية المفاوضات وما حدث في الأشهر الأولى لاندلاع الثورة بحاجة إلى أكثر دراسة وتحقيق نظرا للآراء المختلفة وشح المصادر الشفوية نظرا لقرب فترة حدوثها، كما أنّ المعلومات القليلة تعيقنا للوصول إلى الهدف المنشود.

ثانيا-انضمام الشيخ محمد خير الدين للثورة:

ومنذ توقيف المفاوضات وبداية توسع نطاق الثورة أنضم الشيخ خير الدين إلى العمل المسلح، وبدأت الخطوات الأولى لانضمام شيخنا عندما اتصل عبان رمضان به عن طريق سعد دحلب كما ذكر الشيخ خير الدين⁽¹⁹⁾ في مذكراته حيث يقول: >> وذات يوم أتصل بي سعد دحلب وأخبرني أنّ عبان رمضان يريد مقابلي فحدّدت له موعدا نلتقي فيه ... في العاصمة... وفي هذا اللقاء تحدّثنا طويلا طيلة ليلة كاملة وقال لي عبان رمضان أنّنا كونا جبهة التحرير ونحن مصمّمون على الكفاح ونطلب من كل جزائري أن يشارك معنا مهما كان إتماؤه الحزبي لأنّ القضية أصبحت قضية واحدة وقد رأيت الاتصال بك والحديث معك لما أعرفه عنك من كفاءة ولثقتي بأنك تستطيع القيام معنا بدور كبير، وتقدم لنا من تثق فيهم من العلماء وغيرهم لكي يشاركوا معنا...وفي هذه المقابلة عرف صلة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بملك المغرب ورجال السلطة هناك فطلب مني أن أقوم بالعمل ممثلا لجبهة تحرير الجزائريين بالمغرب<<.

ويبدو أن عبان رمضان قد عرف أنّ الشيخ خير الدين من الرجال الذين يمكن أن تعتمد عليهم الجبهة، كما أنّ أحد تلاميذه الجمعية⁽²⁰⁾ ممّن عاصروا الحدث ذكر لي: >> أن عبان رمضان كان

يعرف جيدا أنّ الشيخ خير الدين هو الواسطة و همزة وصل بين الأحزاب ، كما عرف أفكاره وأدرك قيمته << .

وهكذا كلف عبان رمضان وابن خدة الشيخ خير الدين بتعيين ثلاثة من أعضاء الجمعية لإيفادهم إلى الخارج لينضمّوا إلى جبهة التحرير الوطني، كما كلف بالاتصال بفرحات عباس ليوفد ثلاثة من أعضاء حزب البيان ليذهب الجميع إلى القاهرة، وتم إرسال ممثلين عن الجمعية وهما العباس بن الشيخ الحسين وأحمد توفيق المدني لينضمّا إلى رئيس الجمعية الشيخ البشير الإبراهيمي (21)، ويؤكد الشيخ العباس الحسين أنّه قد اجتمع مع عبان رمضان وابن يوسف بن خدة بوساطة الشيخ خير الدين، وتمّ إيفاد ممثلين عن الجمعية و ثلاثة عن حزب البيان وفرحات عباس، أحمد فرنسيس وأحمد بومنجل (22).

أما بالنسبة للشيخ خير الدين فقد عيّن في المغرب الأقصى كممثل لجبهة التحرير الوطني، وعلاقة شيخنا بالمغرب تعود إلى ذلك التضامن الذي أبدته جمعية العلماء أثناء نفي الملك محمد الخامس (23) في شهر أوت 1953م وقد نشرت بيانا في البصائر (24)، أيدت فيه الملك كانت بإمضاء الشيخ خير الدين، وقد تركت انطبعا حسنا لدى الشعب المغربي والقصر الملكي ولما عاد الملك إلى بلاده بعثت الجمعية وفدا تكوّن من: الشيخ العربي التبسي الشيخ محمد خير الدين، أحمد توفيق المدني، وعبد اللطيف سلطاني، وذلك لتهنئة الملك على عودته السعيدة وتضامنا مع الشعب المغربي (25)، وقد ذكر لي الشيخ محمد الصالح رمضان (26) أنّ الشيخ خير الدين قد حظي بمكانة هامة لدى الملك محمد الخامس لأنه بعد زيارة الوفد لتهنئة الملك رجع الوفد وبقى الشيخ خير الدين أياما أخرى في المغرب لذلك أصبحت له مكانة لدى الملك وسمح له بالدخول في أي وقت شاء إلى القصر وكان يسميه "الفقيه".

ثالثا- دوره في الثورة (ممثلا لجبهة التحرير في المغرب):

وهكذا تم إرسال الشيخ خير الدين كممثل لجبهة التحرير الوطني في المغرب منذ ربيع 1956م واستمرت المهمة إلى غاية الاستقلال سنة 1962م، ويقول الشيخ خير الدين (27) في ذلك: << ومن هناك شرعت في العمل على تأسيس مكتب لجبهة التحرير الوطني واكتريت مكانا مناسباً (28)، وطلبت من السلطات المغربية أن تعيّنني الأستاذ عبد القادر بوسلهاب، وهو جزائري يعمل أستاذا بإحدى المدارس المغربية وذلك ليعينني في عملي ويقوم بعمل الكاتب بمركز الجبهة، فوافقت السلطة المغربية على طلبي...>>، وكان على مترجمنا أن يقوم بعدّة مهام لأنّ الثورة اتّسع نطاقها كما أنّ استقلال المغرب قد

فتح بابا واسعا للتحرك في الجهة الغربية ومساعدة الثورة داخليا، وفيما يخص الأعمال التي كان يقوم بها الشيخ فيقول(29): ">> وأخذ مجال العمل بالمغرب يتسع نطاقه ويشمل عدة مجالات أهمها:

1- إحصاء الجزائريين العاملين والمقيمين ببلاد المغرب وتوثيق الاتصال بهم وحل مشاكلهم ورعايتهم.

2- تكوين لجان لجميع الأموال بصورة منتظمة وتقديمها إلى قادة الثورة والمسؤولين عن جمع الأموال فيها سواء من المواطنين الجزائريين وغيرهم.

3- إعداد مراكز لتدريب الجنود (30) من الشباب الجزائري والمتطوعين للجهاد من كافة المواطنين الجزائريين.

4- إنشاء مركز طبي للعلاج وتقديم الدواء وتعيين أطباء جزائريين لتسييره والمعالجة فيه لمجاريح الجيش ومرضاهم.

5- الاتصالات السياسية سواء بالسلطة المغربية أو السفارات العربية والإسلامية الموجودة بالمغرب.

6- جهاز اتصال لاسلكي لتلقي المعلومات وإرسالها.

7- إنشاء مخازن للعتاد والتموين.

لقد كان للشيخ خير الدين دور هام في حل عدة مشاكل و قضايا اعترضت الثورة في الأراضي المغربية ومنها مشكلة تلك الباحرة التي وصلت إلى ميناء طنجة محملة بالسلاح وتعذر الإفراج عنها فاتصل الشيخ خير الدين بالسلطان محمد الخامس مباشرة (31)، فاصدر أمرا بمقتضاه تقوم حافلات وشاحنات القوات الملكية العسكرية بتفريغ الشحنة من الباحرة الراسية في ميناء طنجة ونقلها إلى وجدة وتسليمها إلى مراكز قيادة جيش التحرير الوطني، كما أنه اهتم بالمهاجرين إلى الأراضي المغربية واتصل بالسلطان وشرح له الوضعية فوفر لهم الأعمال المناسبة والمقام الطيب بين إخوانهم المغاربة(32).

ويذكر مترجمنا أيضا أنّ وزير الصحة المغربي استدعاه وأخبره أنّ هناك شكوى من المواطنين المغاربة المقيمين في البلاد المحاذية للحدود الجزائرية وهي عدم تمكنهم من الحصول على الدواء من الصيدليات لأنّ الجزائريين يسارعون إلى شرائها بمجرد أن يوزع فطلب منه أن يعمل على حل هذا

المشكل، فاقترح عليه الشيخ خير الدين أن يقدم قائمة الأدوية المطلوبة للجنود الجزائريين ويشتريها لحسابهم، فاستحسن الوزير الاقتراح، وعندما وصل الخبر إلى السلطان أمر وزير الصحة أن يشتري الدواء وتحمّل خزانة الدولة المغربية دفع الثمن⁽³³⁾.

والحق أنّ نشاط الشيخ خير الدين وبقية المناضلين قد ساهمت في المحافظة على تفعيل التضامن الشعبي واستطاعت تنظيم نشاطها السياسي وتأطير الجالية الجزائرية، والاستفادة من القواعد الخلفية رغم المضايقات التي تسببها القوات الفرنسية المتواجدة بالمغرب على ضرورة توفير وسائل مواصلة الحرب والحفاظ على علاقات الصداقة مع السلطات المغربية للاستفادة من تسهيلاتهما، ومساعدتهما المادية، والمعنوية، والتصرف بحرية في القواعد الخلفية⁽³⁴⁾.

وتجدر الإشارة إلى أنّ العلاقات بين المغرب وجبهة التحرير قد عرفت عدة خلافات فأحمد توفيق المدني ذكر أنّه في شهر فيفري 1957م وردت أنباء مفادها أنّ ممثلي جبهة التحرير الوطني يلقون القبض على الخصوم وينقلون الأسلحة دون علم السلطات المغربية لذلك قام وفد عن جبهة التحرير الوطني ممثلا في الدكتور الأمين دباغين وتوفيق المدني وسارا إلى المغرب في 18 فيفري من نفس السنة واجتمعوا بالإخوان المبروك وخير الدين والثعالبي، وأنهم تفاوضوا في تفاصيل الوضعية المستجدة، واتصلوا بحكومة (البكاي والغزاوي) وجماعة حزب الاستقلال وجيش التحرير وسرعان ما زال سوء التفاهم كما تمت مقابلة الملك لاطلاعه على الاتفاق وكذلك فعلوا مع الزعيم علال الفاسي بطنجة.

ويضيف أحمد توفيق المدني أنّ ملك المغرب طلب التفاوض مع وفد رسمي يمثل جبهة التحرير الوطني لمناقشة حلول عرضها الأمريكيون، فمثّل جبهة التحرير: الأمين دباغين، وعباس فرحات، وتوفيق المدني، انظم إليهم في اسبانيا المبروك وعمران، والشيخ خير الدين، والثعالبي وقابلوا في تطوان ولي العهد المغربي بتاريخ 23 أبريل 1957م لإعلامه بأنّ الأمريكيين مستعدون للتدخل بواسطة الملك على أن يكون العمل باتفاق مع جبهة التحرير فطلب ولي العهد برنامج الجبهة لوضع حد للقتال وإرجاع السلام للجزائر لكن ولي العهد رأى بأن الوفد غير مستعد للتنازل لذلك فشل اللقاء⁽³⁵⁾.

ويبدو أنّ مطالبة المغرب بإقرار سيادته على المناطق الجنوبية الغربية التي يدّعي مغربيتها أدّى إلى عقد عدة اجتماعات لحل المشكل لأنّ الثورة ليست بحاجة إلى مثل هذه التصرفات والمشاكل بقدر ما هي في حاجة إلى المدد وبقدر ما هي في حاجة إلى تنظيم، لذلك ساهم الشيخ خير الدين في إيجاد أية تسوية ففي 8 أبريل 1958م عقد اجتماع بالرباط بين الشيخ خير الدين، وعبد القادر معاشو، وحسين

قادري مع ابن بركة ومحمد البصري عن الجانب المغربي، لكنه فشل مما جعل الموقف المغربي يتحفظ في دعم الثورة الجزائرية⁽³⁶⁾.

وفي نفس شهر أفريل انعقد مؤتمر طنجة الذي دام من 27 إلى 30 أفريل 1958م وقد شارك مترجمنا في المؤتمر إلى جانب ممثلين آخرين⁽³⁷⁾ عن جبهة التحرير الوطني، وحضر أيضا حزب الاستقلال المغربي، الحزب الدستوري الحر، وقد أكد المؤتمر على مخاطر السياسة الاستعمارية وحثمية التنسيق المشترك ووحدة أقطار المغرب العربي، والإلحاح على مساعدة الجزائر وتخليصها من الاستعمار الفرنسي، ومن خلال قرارات مؤتمر طنجة⁽³⁸⁾ يظهر أنّ القضية الجزائرية نالت اهتمامات المناقشين، فضلا عن تجسيد فكرة وحدة المغرب العربي⁽³⁹⁾.

وفضلا عن مهام الشيخ خير الدين داخل المغرب فإنه كان يحضر إجتماعات المجلس الوطني للثورة بطرابلس بليبيا الذي صار أحد أعضائه وشارك في الاجتماع الذي عقد من 10 ديسمبر 1959م إلى 20 جانفي 1960م وذلك من أجل دراسة الوضعية الداخلية للمجلس والحكومة⁽⁴⁰⁾ كما أنّه أستدعي عدة مرات وذلك بطلب من المجلس لدراسة عدة قضايا ومستجدات الثورة⁽⁴¹⁾.

ونظرا لتنقلاته إلى ليبيا فقد كانت له فرصة مقابلة الشيخ البشير الإبراهيمي رئيس جمعية العلماء بالقاهرة سنة 1958م الذي كان ممثلا لجبهة التحرير الوطني هناك.

كما أنّ مترجمنا لم ينس دور الطلبة الجزائريين الذين كانوا يدرسون في المغرب، فقد ذكر أحمد توفيق المدني⁽⁴²⁾ أنّه كان هو والشيخ خير الدين يقومان بتفقد المدارس ووضعية الطلبة الجزائريين لرفع معنوياتهم فيقول: <>... وهم كمثل بقية طلبة تونس والمشرق متشبعون بفكرة الثورة ومستعدون لكل تضحية وقد عقدت لهم اجتماعا عاما توجيهيا بفاس أرجع لهم الثقة بالنفس وأصبحت معنوياتهم تتغلب على مادياتهم الضعيفة وكان إلى جانبي يومئذ ممثلنا المجاهد الشهم الشيخ محمد خير الدين>>.

ويبدو أن الشيخ خير الدين قد استغل المناسبات الثقافية في المغرب ليحث المفكرين والعلماء على مساندة ثورة الجزائر، ففي الملتقى العلمي المخلد للذكرى المائة بعد الألف لتأسيس جامع القرويين سنة 1960م ألقى مترجمنا⁽⁴³⁾ خطابا مطولا أشاد فيه بفضل الجامع العلمي والثقافي على الطلبة الجزائريين كما نوه بمساعدة الشعب المغربي وعلمائه للثورة، ومما جاء فيه: <> أيها السادة نحن الآن لا نقاوم فرنسا وحدها بل نقاوم معها استعمارا غريبا يتمثل في الحلف الأطلسي... فكونوا لنا رسل الحق

ودعاة الحرية واصرخوا في وجه المتخاذلين، واكشفوا مأساة هذه الحرب التي يقتربها غلاة الاستعمار فإننا لا نعلم بعد الله إلا على أنفسنا وعلى أمثالكم من أرباب الفكر الحر في العالم <<.

لقد كللت جهود الشيخ خير الدين وباقي المناضلين في ثورتنا التحريرية المجيدة بإرغام الاستعمار الفرنسي على الرضوخ للمفاوضات، والوقوف أمام الأمر الواقع، وذلك بتوقيع إتفاقية وقف إطلاق النار، حيث كان مترجما من الذين صوتوا (44) على لائحة وقف إطلاق النار في إطار المجلس الوطني للثورة أثناء إجتماعه من 22 إلى 27 فيفري 1962، وتم وقف إطلاق النار رسميا في 19 مارس 1962(45).

خاتمة:

ويمكن القول أنّ الموقف الذي اتخذته العلماء علنا في بداية الثورة إنما كان هدفه حماية هياكل الجمعية واستمرار نشاطها، خاصة مع المراقبة الشديدة لها من طرف الإدارة الفرنسية، لكن هناك من انخرط سرا في بداية الثورة بشهادة ممن عايشوا الفترة، ورغم تحفظ الشيخ محمد خير الدين في بداية الثورة إلا أن الاتصالات التي قام بها قادة الثورة أدت إلى انضمام الشيخ خير الدين في سنة 1956 وتم تعيين الشيخ خير الدين ممثلا لجبهة التحرير الوطني في المغرب والحق أنه كان تصرفا سديدا نظرا للحنكة السياسية والدبلوماسية التي كان يتمتع بهما وكذلك لتصحيح الأحكام الخاطئة حوله أثناء اندلاع الثورة، لأنّ مرور الأيام بعد انطلاق الرصاصة الأولى كشفت أنّ مليون ونصف مليون شهيد من أبناء الجزائر قد وهبوا أنفسهم في سبيل الحرية والاستقلال.

ويضاف إلى ذلك المكانة التي حظي بها الشيخ خير الدين لدى سلطان المغرب وشعبه حيث مكنته من التحرك في كل الاتجاهات منأما للثورة أكثر فعالية في المنطقة الغربية كما أنّ ثقة جبهة التحرير الوطني في الشيخ جعلتها تعينه عضوا في المجلس الوطني للثورة ليكمل نشاطه النضالي بالتصويت على لائحة وقف إطلاق النار التي طُبقت رسميا كما ذكرنا في 19 مارس 1962م، والتي أرغمت الفرنسيين على الرضوخ وإعلان استقلال الجزائر في 5 جويلية 1962م.

الهوامش:

(*) ولد محمد خير الدين في 1902 ببلدة فرجار بسكرة، وقد اهتم والده بتنشئته على التربية الدينية، تلمذ على يد شيوخ منطقتة أمثال الشيخ العابد السماوي وغيره، ثم انتقل إلى قسنطينة وتعلم على يد الشيخ الطهر بن زقوطة، ومنها سافر إلى تونس والنحج بجامع الزيتونة حيث تخرج منها بشهادة التطويع سنة 1925 ليتنحج بالحركة الإصلاحية التي قادها الإمام عبد الحميد بن باديس التي كان لها دور في الحركة الوطنية الجزائرية، كما كان

له دور في الثورة التحريرية الجزائرية ممثلاً لجهة التحرير الوطني في المغرب الأقصى إلى أن استقلت الجزائر في 5 جويلية 1962 ، وبعد الاستقلال شارك في أول مجلس تأسيسي لينسحب من الحياة السياسية ليفتح حياته الخاصة إلى أن توفي في 11 ديسمبر 1993 وقد خلف مكتبة ضخمة أهداها إلى جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية بقسنطينة.

- 1- محمد العربي الزيري: **الثورة الجزائرية في عامها الأول**، ط1، دار البعث قسنطينة، الجزائر 1984، ص181.
- 2- الفضيل الوريتاني: **الجزائر الفاترة**: دار الهدى للطباعة والنشر، عين مليلة، الجزائر: 1982م، ص 170-171.
3. المصدر نفسه، ص178.
- 4- محمد العربي الزيري: المرجع السابق، ص181.
- 5- عبد الرحمن بن إبراهيم بن العتوم: **الكفاح القومي والسياسي من خلال مذكرات معاصر**، ج3، (1947 1954)، م. و ك، الجزائر 1986، ص 511.
- 6- المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

7-Mohamed Harbi : **1954la guerre commence en Algérie** ,édition complexe , Bruxelles, 1998, p.45.

8 - Ahmed sari : **l'association des ulama musulman algériens et l'administration française en Algérie de 1931 à 1956**, thèse doctorat, université de Provence ,centre d'Aix Marseille ,I ,u, f,r ,histoire, juillet 1990.P.355.

9 Ahmd Sari :op. cit,p348.

10 -Mohamed Harbi : op.cit,p144.

11 - Mohamed Harbi: **une vie debout, mémoires politiques**. tome 1, 1945-1962, casbah éditions , Alger : 2001,P.189.

12- لقد ذكر محمد العربي الزيري أنّ المفاوضات قد تمت في شهر ماي، أنظر محمد العربي الزيري: المرجع نفسه، ص188. أما بنحامين سطورا فقد ذكر يوم 28 مارس 1955م أنظر:

Benjamin Stora, Zakia Daoud : **Ferhat Abbas une autre Algérie** ,édition Casbah,1995.P.212.

13 محمد العربي الزيري: المرجع السابق، ص188.

14. المرجع نفسه، ص 189.

15 - Mohamed Harbi : **la guerre commence en Algérie** ,op.cit , p. 146.

16- محمد العربي الزيري: المرجع السابق، ص 189-190.

17- لقد فشل مونتاي في مهمته لأن الحكومة الفرنسية لم تكلفه رسمياً بأية مهمة للتفاوض مع الجزائريين، وبالنسبة لسوستيل فإنه كان يريد إرضاء الأوربيين في الجزائر والتخلص من الفكرة التي أخذوها عنه وهي أنه يهودي اسمه "بن ساسون"، أنظر عمار بوحوش: المرجع السابق، ص 511.

18- عبد الكريم بوصفصاف: **جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وعلاقتها بالحركات الجزائرية الأخرى (1931-1945)** دراسة تاريخية وإيدولوجية مقارنة، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، 1996، ص 149.

19- محمد خير الدين: مذكرات، ج2، المصدر السابق، ص 136-137.

20- المصدر نفسه، ص137.

21- عبد الرحمن بن إبراهيم بن العتوم: المصدر السابق، ص 511-512.

22- محمد الطاهر فضلاء: التحريف والتزييف في كتاب حياة كفاف، ط1، دار البعث قسنطينة، الجزائر، ص191.

23- محمد الخامس (1961-1911م): هو محمد بن يوسف بن الحسن بن عبد الرحمن الحسيني العلوي أبو الحسن المنصور بالله، ملك المغرب ورمز النهضة الحديثة، وولد بفاس وتعلم بها وبالرباط وكان بفاس يوم يبيع له بعد وفاة والده سنة 1927م، وانتقل إلى الرباط عاصمة المغرب في عهد أبيه، وكان يحرضه شعبه على المطالبة بجلاء الفرنسيين فنفى في 20 أوت 1953م إلى جزيرة أحاكسيو

- (كورسيكا) ثم إلى مدغشقر، وعاد من منفاه عام 1955م، له مجموعة خطب بعنوان: انبعاث أمة في خمسة أجزاء، أنظر خير الدين الزركلي: الأعلام، مج7، ط7، دار العلم للملايين، بيروت: 1986 م، ص 158. 159.
- 24- جريدة البصائر: مقال "بلاغ من جمعية العلماء المسلمين الجزائريين"، العدد 239، 4 سبتمبر 1953، ص1. أنظر أيضا أحمد حامي: المصدر السابق، ص284.
- 25- جريدة البصائر: مقال "جمعية العلماء المسلمين الجزائريين شكر وولاء وتقدير"، العدد 343، 2 ديسمبر 1955، ص01.
- 26- المصدر نفسه.
- 27- محمد خير الدين: مذكرات، ج2، المصدر السابق، ص143.
- 28- المصدر السابق، ص143.
- 29- محمد خير الدين: مذكرات، ج2، المصدر السابق، ص143-146.
- 30- المصدر نفسه.
- 31- رغم أن الشيخ خير الدين هو الذي كان مقربا من السلطان إلا أن توفيق المدني قد ذكر أن الشيخ خير الدين والمبروك هما اللذان أحبراه أن هناك باخرة محملة بالسلاح راسية بميناء طنجة وأن صاحبها يريد بيعها وليس لهما من النقود ما يكفي لشراؤها، فاعتنم فرصة مقابلتك للملك وأخبره بالأمر. أنظر احمد توفيق المدني، حياة كفاح، ج3، المصدر السابق، ص284.
- 32- محمد خير الدين: مذكرات ج2، المصدر السابق، ص146.
- 33- المصدر نفسه، الصفحة نفسها.
- 34- عبد الله مقلاتي: دور بلدان المغرب العربي في دعم الثورة الجزائرية (1962-1954م)، مذكرة لنيل شهادة ماجستير، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسنطينة: 2002م، ص67.
- 35- أحمد توفيق المدني: حياة كفاح، ج3، المصدر السابق، ص336-340.
- 36- عبد الله مقلاتي: المرجع السابق، ص79.
- 37- ممثل الوفد الجزائري: عباس فرحات عضو اللجنة التنفيذية هيئة التحرير (رئيسا الحكومة المؤقتة) التي تأسست فيما بعد يوم 19 سبتمبر 1958م بالقاهرة، الشيخ محمد خير الدين عضو المجلس الوطني للثورة الجزائرية وممثل جبهة التحرير بالمغرب، عبد الحفيظ بوصوف عضو اللجنة التنفيذية لجبهة التحرير الوطني والمسؤول العسكري عن الولاية الخامسة، عبد الحميد مهري عضو اللجنة التنفيذية لجبهة التحرير أحمد فرنسيس الناطق الرسمي باسم جبهة التحرير، أحمد بومنجل الناطق الرسمي باسم جبهة التحرير، رشيد قائد. أنظر محمد خير الدين: مذكرات، ج2، المصدر السابق، ص151.
- 38- قرارات مؤتمر طنجة:
- لائحة حول حرب التحرير الجزائري.
 - إعلان حول مساعدة عدد من الدول العظمى لفرنسا في حربها ضد الشعب الجزائري.
 - لائحة حول رواسب الاستعمار الفرنسي في المغرب العربي.
 - لائحة حول وحدة المغرب العربي.
 - لائحة حول السكرتارية الدائمة.
 - ميثاق طنجة... أنظر محمد خير الدين: مذكرات، ج2، المصدر السابق، ص152.
- 39- عبد الله مقلاتي: المرجع السابق، ص71-72.
- 40- جمعية أول نوفمبر وحماية مآثر الثورة في الأوراس: المرحلة الانتقالية للثورة الجزائرية من 19 مارس 1962م إلى سبتمبر 1962م، منشورات المتحف الوطني للمجاهد 1995م، ص332-333.
- 41- لقد شارك الشيخ خير الدين في عدة إجتماعات خاصة بالمجلس الوطني للثورة، وذلك من خلال الاستدعاءات الرسمية الموثقة في مذكراته. أنظر محمد خير الدين: مذكرات، ج2، المصدر السابق، ص160-170.

42- أحمد توفيق المدني: حياة كفاح، ج3، المصدر السابق، ص474.

43- محمد خير الدين: مذكرات، ج 1، المصدر السابق، ص 264.

44- الأعضاء الآخرون في المجلس الوطني للثورة الذين صوّتوا: فرحات عباس، بن مصطفى، بن عودة، محمد بن سالم، محمد بن يحيى، أحمد بومنجل، سليمان دهبيلس، محمد حمادي (المدعو قاسي)، علي كاتي، محمد خير الدين، عبيدي حاج الأخضر، عبد الحميد مهري، عمار أوغمران، عمر أوصديق، الطيب التعالبي، محمد يازوران (المدعو السعيد). أنظر بن خدة بن يوسف: نهاية حرب التحرير بالجزائر، اتفاقيات إيفيان محل العين حباتلي، مراجعة عبد الحكيم بن الشيخ الحسين، ديوان المطبوعات، د_ت، ص57.

45- ابن يوسف بن خدة: المصدر نفسه، الصفحة نفسها.